

اليوم رقم 5

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المرحلة الخامسة

بنهاية المرحلة الرابعة يكون قد نزل من القرآن 46 سورة من أصل 89 سورة مكية، ولو افترضنا أن محمداً عليه الصلاة والسلام استمر يدعوا لمدة 13 عاماً كما تقول كتب السير، فإن السور تنزل بمعدل (افتراضي) كل شهر وعشرين يوماً تقريباً. ولو أخذنا بهذا المعدل الافتراضي - الغير دقيق - فإن محمد استمر يدعوا قریشاً لمدة قاربت السبع سنوات من 13 سنة دون أن تستجيب قریش ودون أن يؤمن به إلا من قد آمن في بداية الدعوة وهم نفر قليل.

وبرغم أن المرحلة السابقة تعتبر أطول مراحل الدعوة في مكة، وأكثرها سورا، إلا أن الأحداث التي وقعت فيها قليلة جداً، بالنسبة لطول فترتها. وذلك عائد إلى أن السور استمرت منذ بداية الدعوة تخاطب كبراء قریش، وإن اختلف الأسلوب. فسارت الأوضاع على وتيرة واحدة، تمثلت باستمرار الرسول بالدعوة وتلاوة القرآن، مع إعراض قریش عن الاستماع أو القبول. دون أن يؤذوا الرسول ومن معه جسدياً، وإن آذوه بالسخرية واتهامه بالكذب والسحر وغيرها، لتبرير عدم تصديقهم. ولو استمرت السور تخاطب قریش فقط كما كانت عليه في المراحل السابقة فلن تؤمن قریش، ولن يزيد عدد المسلمين القلة، ولو بقي محمداً بينهم بقاء نوح في قومه. ذلك أن السنة التي سارت عليها الأمم تفرض أن من لم يؤمن بالدعوة حال سماعها فلن يؤمن بها ولو ترددت على مسامعه طوال حياته. ولو مات محمد وخطاب الدعوة موجه لقریش فقط، كما في السور السابقة، فسرعان ما يموت النفر المسلم وينتهي أمر الإسلام. خاصة أن التشريعات لم تفرض بعد، فيما عدا صلاة بلا أوقات محددة، وإنفاق، وتحريم للغش التجاري، ووفاء بالنذر.

لكن الخطاب في القرآن - بدءاً من هذه المرحلة - توجه لدعوة كل الناس، وإلى بني إسرائيل (جيران مكة وسكان يثرب) وإلى مستضعفي مكة (الموالي والعبيد) الذين لم يستجيبوا للإسلام ليس لأن مصالحهم ستتضرر - فهم لا يملكون من متاع الدنيا شيء - ولكنهم تبعوا وقلدوا ساداتهم حتى في العقيدة.

وسنرى كيف ستتغير الأوضاع وتنشط الدعوة ويصبح لها صدى يسمع به القاصي والداني، ويبدأ الناس يدخلون في دين الله من مختلف الطوائف والملل والشعوب. مما يجعل المرحلة الخامسة

تعتبر مرحلة بداية الانتشار الفعلي للإسلام. أو ميلاد الدعوة من جديد، بعد أن خيم على مسارها الهدوء والرتابة طوال المراحل السابقة.

المرحلة الخامسة / تحول المخاطب وتغير الأحداث

نزل في هذه المرحلة 31 سورة، هي: ص، الصافات، النازعات، الذاريات، الأحقاف، الجاثية، فاطر، فصلت، الدخان، الزخرف، غافر، مريم، الإخلاص، الكهف، سبأ، الكافرون، لقمان، النمل، الحجر، طه، السجدة، المؤمنون، المعارج، الفرقان، الزمر، الأعراف، يونس، إبراهيم، يوسف، الأنبياء، والكوثر.

وسنتناول منها اليوم تسع سور هي: ص، الصافات، النازعات، الذاريات، الأحقاف، الجاثية، فاطر، فصلت، الدخان.

الجو السائد في مكة

طوال مراحل الدعوة السابقة كانت الأوضاع في مكة تسير على وتيرة واحدة لا جديد فيها. محمد يلاحق قريش ويسمعهم ما ينزل عليه من الوحي، وقريش تسخر وتستهزئ وتلح عليه بأن يخبرهم متى وكيف سيكون البعث، وقد أعلنت موقفها الرفض للدعوة. والقرآن لا يخاطب ولا يدعوا إلا قريش، وكأنه حتى هذه اللحظة موجه لهم دون بقية الناس، ولا يوجد ما يشير إلى أن دعوة محمد ستكون لهم ولغيرهم، ولا ما يدل على أنه دعا غير قريش لأن الآيات لا تتوجه بالخطاب لغيرهم. وهو ما يدحض كلام المؤرخين والمفسرين والمحدثين الذي يروون قصصاً عن ذهاب محمد لدعوة أهل الطائف في بداية دعوته.

وفي هذه الظروف بدأت السور تنزل بخطاب مختلف، وفي البداية نزلت سور يمكن أن يطلق عليها مرحلة انتقالية من مخاطبة قريش إلى غيرها من الناس، ومنها: ص، الصافات، النازعات، والذاريات.

وبرغم أن هذه السور لم تخاطب بني إسرائيل مباشرة، إلا أنها بدأت تتحدث عن قصص تاريخي تعرفه بني إسرائيل، ويهمها أكثر من قريش، بجانب الاستمرار في ذكر الأمم السابقة التي أهلكت بسبب كفرها لعل قريش تعتبر.

وفي ظل هذه الظروف تنزل سورة "ص" التي تعتبر نقطة التحول من مخاطبة قريش فقط إلى مخاطبة كل الناس مع قريش. فالآية 87 من سورة "ص" ذكرت بوضوح أن القرآن موجه لكل الناس: **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**.

وتبدأ سورة ص في (الآيات: 1-10) عن قريش وأنهم لن يؤمنوا مهما دعوا، ولتبرير موقفهم الرفض، كانوا يتهمون محمداً بأنه ساحر ومرة كاذب. ومرة يقولون أنه يزعم ألا إله إلا الله، وأخرى يقولون أنه يستحيل أن يختار الله محمداً من بين كبراء وسادة قريش ليكون رسولاً له. وترد عليهم الآيات بأن مزاعمهم تلك لا تعتمد على مصدر موثوق فليس لديهم علم بغيب الله وما يقرر وليس لديهم قدرة على الدنو من ملكوت الله ليستمعوا لما يقرر (كناية): **ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ {1} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ {2} كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حَيِّنْ مَنَاصٍ {3} وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {4} أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ {5} وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادٌ {6} مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ {7} أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ {8} أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ {9} أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ {10}**.

(الآية: 11) تقول أن تكذيبهم نتيجة لأنهم نهجوا سنة من قبلهم: **جُنُدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ {11}**.

(الأحزاب للتعبير عن الأمم الكافرة السابقة)

ثم تسرد السورة بعض تلك الأمم: **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ {12} وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ {13} إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ {14} وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ {15} وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ {16}**.

ومن الأمم السابقة قوم نوح وعاد وثمرود وفرعون وثمرود وقوم لوط وأصحاب الأيكة (قوم شعيب)، وكلهم كذبوا فأهلكوا.

(الآيات: 17-26) تتحدث عن داوود: **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ {17} إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ {18} وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ {19} وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ {20} وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا**

المِحْرَابِ {21} إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ {22} إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ {23} قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ {24} فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ {25} يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ {26}.

وهذه نقلة نوعيه في خطاب السور، حيث كانت تتحدث عن أقوام كافرة سابقة لتعتبر قريش. وتلك الأمم تعرفهم قريش وما حدث لهم له علاقة بقريش. أما الحديث عن داوود وما أعطي من قدرات ومن ثم واقعة الخصمين وهي تفاصيل دقيقة لا تهم قريش، ولكنها تهم بني إسرائيل كون داوود أول ملك لمملكة إسرائيلية في التاريخ، وتفاصيل حياته تعتبر جزء من تاريخهم الذي يفاخرون به. ((هنا إعلان لتغير المخاطب في القرآن من قريش فقط إلى غيرهم))

فسرد هذه الأحداث يهتم بني إسرائيل وسيجعلهم يأتون لسماع ما يقول محمد عن تاريخهم وملوكهم. وهذه أول نقلة باتجاه تغير المخاطب في السور المكية إلى غير قريش، وإن لم تخاطب بني إسرائيل مباشرة.

والآيات تقول أن داوود كانت لديه القدرة على معرفة لغة تواصل بعض الطيور، واستطاع توطيد حكمه، وإرساء قواعد ملكه، وكان حكيماً وخطيباً مفوهاً: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ} {20}.

وتخبرنا الآيات عن خصمان تسورا المحراب (مكان العبادة) أثناء ما كان داوود يصلي، لكي يتخاصما لديه. ويبدو أن داوود تسرع ونطق بحكم من عنده ولم يرجع لحكم الله، فجاءه التوبيخ بألا يحكم إلا بحكم الله وليس بما يرى، لأنه وإن كان ملكاً فلم يعطه الله حق التشريع: يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ {26}.

ويستفاد هنا أن حق التشريع لا يجيزه حكم الله لفرد مهما كان حتى لو كان ملكاً مثل داوود. وهذا الدليل يضاف لأدلة أخرى قادمة لنتعرف على دستور دولة الإسلام وقوانينها وسلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ثم تبتعد السورة عن داوود وتتحدث عن موقف قريش الرافض، وتتوعدهم: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ {27} أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ {28} كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ {29}.

(الآية: 28) دليل على أن من عدل الله المطلق في الحساب ألا يغفر لمستحق النار ولن يعذب المؤمن.

(الآية: 29) دليل آخر على أن الدعوة تكون بالقرآن فقط، لمن أراد أن يتذكر.

وتعود الآيات للحديث عن داوود وابنه سليمان: وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ {30} إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ {31} فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ {32} رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفَطِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ {33} وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ {34} قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ {35} فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ {36} وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ {37} وَأَخْرَيْنَ مُفَرَّجِينَ فِي الْأَصْفَادِ {38} هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ {39} وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ {40}

وإسماع بني إسرائيل تفاصيل دقيقة من تلك الفترة القديمة من تاريخهم، لكي تقول لهم لولا أن محمداً يتلقى الوحي من الله وهو رسول بالفعل لما عرف هذه التفاصيل. لأن بني إسرائيل يؤمنون بالبعث – عكس قريش – لكن مشكلتهم هي في التصديق في أن محمد رسول.

(الآيات: 30-33) سليمان تولى الملك بعد أبيه داوود وكان يربي الجياد ويعتني بها ويحبها.

(الآية: 34) فتن سليمان لكنه استغفر ربه وتاب.

(الآية: 35) سليمان يدعوا ربه بأن يهب له ملكاً لا يكون لأحد من بعده. فهل أعطاه الله ذلك الملك؟ أو أن القرآن يروي كالعادة ما قاله وتمناه، مثلما روت الآيات دعوة وأمنية نوح في سورة نوح التي يقول فيها: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً} {26} إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} {27}.

فمن الواضح أن الله لم يستجب له وبقي الكفار يتوالدون ويشكلون الغالبية الساحقة من سكان الأرض.

وحتى بقية دعاء نوح لم يستجب والذي يقول فيه: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} {28}.

فإن الله سيغفر لمن يؤمن من العائلة ويلحق الأفراد المؤمنين بنفس العائلة ببعض، لأنهم آمنوا به وليس لأن أفراداً من عائلاتهم آمنوا، كما نصت على ذلك سورة الطور التي مرت بنا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} {21} الطور.

فالمغفرة والجنة لمن يؤمن وليس لمن يدعوا له غيره، أو لأن عائلته مؤمنة. فإن الله لا يتعامل "بالواسطة".

وهذا دليل على أن الدعاء لأمر دنيوي لا يستجاب، لأن الدنيا مشاعة لكل الناس بغض النظر عن العقيدة والنجاح فيها يخضع لعوامل كثيرة ليس من بينها تدخل إلهي: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن تَصِيبٍ} {20} الشورى.

(الآيات: 36-40)

تظهر بعض ما كان يملك سليمان، ومن ذلك أن تحت سيطرته "شياطين" وليس جان، منهم المهندسين "بناء" ومنهم من يغوص في البحر لاستخراج اللؤلؤ والمرجان، وآخرين مقرنين في الأصفاد. وهو ما يؤكد أنهم بشر لأن الجان لا أجساد لهم ولا يستطيعون نقل الأشياء، ولا يمكن توثيق رباطهم.

فالشياطين هنا تعني المبدعين، وهو تعبير لازال مستخدماً باللهجة العامية: شيطان = مبدع.

(الآيات: 41-48) حديث عن آخرين معروفين من بني إسرائيل: وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ {41} ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ {42} وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ {43} وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ {44} وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ {45} إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ {46} وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ {47} وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ {48}.

(الآيات: 49-58) عود للحديث عما يهيم قريش ومسلمي مكة: صور حسية وعد بجنة ونعيم ووعيد بعذاب وجحيم: هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ {49} جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمِتَّةً لَهُمْ الْأَبْوَابُ {50} مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ {51} وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرَابٍ {52} هَذَا مَا تَدْعُونَ لِيَوْمٍ هَٰذَا لَبِثَ الْيَوْمُ الْحِسَابُ {53} إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ {54} هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ {55} جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ {56} هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ {57} وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ {58}.

(الآيات: 59-63) أول إشارة لما سيكون بالمستضعفين (الموالي والعبيد) الذين كفروا تبعاً لأسيادهم، وكيف أنهم سيندمون على إتباعهم، بل وعلى تصديق كبراء قريش عندما وصفوا المسلمين بالأشرار، وهاهم في الجنة: هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ {59} قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسِفَ الْفَرَارُ {60} قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ {61} وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ {62} أَتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ {63}.

(الآيات: 64-68) الخطاب موجه لمحمد للرد على مطالبات قريش أن يخبرهم متى البعث. فهو منذر فقط، والبعث حق ولو لم يؤمنوا به: إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ {64} قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {65} رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ {66} قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ {67} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ {68}.

(الآيات: 69-85) تتحدث عن خلق آدم وموقف الملائكة وإبليس منه. وهو من المواضيع الذي بدأت الآيات في هذه المرحلة تتحدث عنه، مما يعني أنه يهيم بني إسرائيل أكثر من قريش: مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ {69} إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {70} إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ {71} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {72} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {73} إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {74} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ {75} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ {76} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {77} وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {78} قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ {79} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {80} إِلَى يَوْمِ الْوَفْتِ الْمَعْلُومِ {81} قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {83} قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ {84} لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ {85}.

(الآية: 69) وإن كانت تخاطب محمد وأنه لا علم له إلا ما علمه الله بالوحي، إلا أن الآية تشير إلى أن خبر خلق آدم أحدث خلافاً بين الملائكة: "مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ".

وأن الله أبلغ الملائكة في عالمهم الذي يعيشون فيه والذي يطلق عليه القرآن "الملا الأعلى"، ولم يبلغهم في مكان خلق آدم، الأرض.

واختلاف الملائكة يعني أن بعضهم وافق على فكرة خلق آدم وبعضهم رفضها، منذ اللحظة التي أخبرهم الله بخلق آدم، وهذا الخلاف مقدمة لرفض إبليس (أحدهم) للسجود فيما بعد. (ستتأكد الفكرة فيما سيأتي من سور تتحدث عن نفس الموضوع).

وتخبرنا الآيات أن إبليس أبى عن السجود فيما وافق بقية الملائكة على السجود. وهذا لا يعني أن كلهم قبلوا فكرة السجود، ولكن يعني انصياعهم لأمر الله.

امتناع إبليس عن السجود لأنه يشعر أنه خلق أشرف وأعظم من خلق الإنسان. فطرد: قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {77}. والمقصود بـ "منها" هو عالم الملائكة "الملا الأعلى".

ثم تقول السورة أن الدعوة لا يأخذ عليها الرسول أجراً، ويقاس على ذلك أن كل عمل ديني فلا يجوز أخذ أجر عليه وإلا ضاع أجر القيامة: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ {86}.

(الآية: 87) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ". وهذه أول مرة تشير سورة إلى أن القرآن (دعوة محمد) للعالمين: الناس من غير قريش.

وهذه الإشارة في آخر سورة ص التي أعلنت تغير الخطاب في حديثها عن سليمان وداود وغيرهم ممن يعتبرون جزء من تاريخ بني إسرائيل، وأشرات لمصير المستضعفين الذين يتبعون ساداتهم، والآن تقولها بوضوح، أن المخاطب في القرآن قد تغير، ولم تعد الدعوة خاصة بقريش بل لكل الناس.

هذا التحول يعني ميلاد جديد للإسلام وتحول هام جداً في مسار الدعوة كما سنرى.

ويلزم الإشارة إلى أن "لفظ العالمين" الذي يعني العالم، ورد في أول سورة نزلت من القرآن وهي الفاتحة، وورد في سور من المرحلة الرابعة مثل التكويد: {وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ} ومثل المطففين: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} ، وهذه الآيات تقول أن الله رب العالمين، لكن سورة "ص" تقول "إن هو (أي القرآن الذي يمثل دعوة محمد) ذكر للعالمين". أي أن دعوة الإسلام موجهة لكل الناس ولم تعد الدعوة محصورة بقريش.

بعد سورة "ص" نزلت سورة الصافات.

(الآيات: 1-11) تؤكد أن السماء الدنيا زينت بالكواكب، وهي درع يمنع خروج شياطين الجن من التجوال في الفضاء، كما ذكرت الآيتان: 8-9 من سورة الجن وكذلك الآية: 3 من سورة الملك التي تقول أن الغلاف الجوي كطبقات: وَالصَّافَّاتِ صَفًّا {1} فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا {2} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا {3} إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ {4} رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ {5} إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ {6} وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {7} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {8} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {9} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {10} فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِّنْ خَلْقٍ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ {11} .

وقوله أن السماء الدنيا مزينة بزينة الكواكب قد تشير إلى حقيقة أن غلاف الأرض يسمح بانتشار الضوء بسبب انتشار ذرات صغيرة من الغبار وبالتالي ينتشر ضوء الشمس والقمر ونرى وميض النجوم البعيدة. والقرآن يخاطب قريش بما تحيط وتفهم وترى. وهم يرون النجوم تملأ السماء، وفي نفس الوقت تقرر حقيقة.

(الآيات: 12-26) تتحدث عن موقف قريش الرافض، وكيف أنهم يسخرون من الرسول عندما يذكرهم (يتلوا القرآن عليهم) ويقولون بسخرية كيف نحيا بعد أن نموت ونتحول إلى تراب وعظاما، كما حدث لأبائنا الأولين الذين لم يبعثوا من الموت. وترد الآيات مخاطبة الرسول: قل نعم وأنتم داخرون (برغم أنوفكم): بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ {12} وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ {13} وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ {14} وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ {15} أَيْنَذَا مِثْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ {16} أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ {17} قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ {18} فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ {19} وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ {20} هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ {21} احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ {22} مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ {23} وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ {24} مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ {25} بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ {26} .

(الآيات: 18-21) تبين أن القيامة ستقوم بمجرد موت المرء لأن ذاكرته ستتوقف عن التسجيل فيبدوا المرء وكأنه للتو مات. وهو ما ذكرت قبل ذلك سورة يس: 49-50، والقمر: 50.

الآيات: 22-26 تتحدث عن مصير من يموت من قريش ولم يؤمن، ونقف عند الآية 22 التي تقول: " احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ". فأزواجهم لن يدخلوا النار لأنهم أزواج كفار، ولكن لأنهم كفار مثلهم، وهو مشابه لما ورد في سورة الطور: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ} {21} الطور.

فالمغفرة والجنة لمن يؤمن وتبعتهم ذريتهم (لأنها مؤمنة) وليس لأنها ذرية من آمن وهي لم تؤمن.

(الآيات 27-39) تبدوا وكأنها تشير إلى طاعة الموالى والعبيد للكبراء ومتابعتهم في الكفر ويوم القيامة يلوموهم على أنهم السبب في دخولهم النار، ولكن لات ساعة مندم. وما يجعلنا نميل إلى أن الآيات تتحدث عن المستضعفين الذين تبعوا كبراءهم، هو ما سيأتي في نفس الموضوع في سور قادمة: وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ {27} قَالُوا إِن كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ {28} قَالُوا بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ {29} وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ {30} فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ {31} فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ {32} فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ {33} إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ {34} إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ {35} وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لَشَاعِرٌ مِّثْلُكُمْ {36} بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ {37} إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ {38} وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {39}.

(الآيات: 39-49) صور حسية لنعيم الجنة للمؤمنين: إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ {40} أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ {41} فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ {42} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {43} عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ {44} يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ {45} بَيْضَاءَ لَّدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ {46} لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ {47} وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ {48} كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ {49}.

(الآية: 39) "إلا" بمعنى أما هنا. لأن عباد الله المخلصين ليسوا مستثنين من المجرمين (الكفار) الذين تتحدث عنهم الآيات السابقة. ولكن الآية 39 تبدأ بالحديث عن عباد الله المخلصين وما ينتظرهم في الجنة: إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ {38} وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {39} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ {40} أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ {41}.

وتتحدث السورة عن سرر وخمر وقاصرات الطرف عين، لتقريب الصورة في الذهن والترغيب فيها: فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ {42} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {43} عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ {44} يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ {45} بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ {46} لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ {47} وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ {48} كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ {49}.

لأن عالم القيامة لا يمكن تخيل نعيمه أو جحيمه، بشهادة القرآن: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {17} السجدة.

((سنلاحظ أن القرآن يقدم هذه الصور الحسية في مخاطبته لرجال قريش، وهو ما يؤكد أنها للترغيب وليست لتصوير الحقيقة، ذلك أن رجال قريش هم من يعاند الدعوة وهم من يحاربها ويقف ضدها، ولو آمنوا لآمنت النساء والمستضعفين، أو على الأقل لن تحارب النساء والمستضعفين الدعوة. لذا فالترغيب وتصوير نعيم الجنة بما يشتهي الرجال لا يعني، المقصور على الرجال ولكن يعني أن الرجال هم المعنيون بالدعوة لعلهم يؤمنون)).

(الآيات: 50- 61) حديث افتراضي بين رجل مسلم كان له صاحب كافر وكان الكافر يقول له هل يعقل أن نحيا بعد الموت، وكاد يستميله لكن المسلم صمد: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ {50} قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ {51} يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ {52} أَيُّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ {53} قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ {54} فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ {55} قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ {56} وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ {57} أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ {58} إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ {59} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {60} لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ {61}.

ومثل هذا الموقف كان يحدث في مكة، حيث كان بعض الكفار يوحى لبعض بالاستمرار على الكفر وعدم طاعة محمد.

(الآيات: 62- 73) تقول أن الجنة خير من النار: أَدْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ {62} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ {63} إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ {64} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ {65} فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ {66} ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ {67} ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ {68} إِنَّهُمْ أَلَفُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ {69} فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {71} وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ {72} فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ {73}.

وطعامها الذي تم تصويره وكأنه شجرة لها طلع مقرز، شبهته برؤوس الشياطين. هو كناية، لأن الناس لم تر رؤوس الشياطين ولكنها تتخيلها على شكل صورة مفزعة قبيحة.

(الآيات: 74-148) تذكر ما حدث لأمم سابقين، بعضهم أهلكوا لكفرهم كي تعتبر قريش مما حدث لهم، مثل قوم نوح، وقوم لوط، ويونس. وبعضهم يهيم قريش وبني إسرائيل في نفس الوقت مثل تفاصيل تاريخ إبراهيم، وموسى وهارون، وإلياس: إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {74} وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ {75} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {76} وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ {77} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {78} سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {79} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {80} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {81} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ {82} وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ {83} إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {84} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ {85} أَفُكَا إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ {86} فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {87} فَتَطَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ {88} فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ {89} فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ {90} فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ {91} مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ {92} فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ {93} فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ {94} قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ {95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ {96} قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ {97} فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ {98} وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ {99} رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ {100} فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ {101} فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ {102} فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ {103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ {104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {105} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ {106} وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ {107} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {108} سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ {109} كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {110} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {111} وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ {112} وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ {113} وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ {114} وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {115} وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكَاثُوا هُمُ الْعَالِيِينَ {116} وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ {117} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {118} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ {119} سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ {120} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {121} إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {122} وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {123} إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ {124} أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ {125} اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ {126} فَكَذَّبُوهُ فَاتَتْهُمْ لَمُحْضَرُونَ {127} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {128} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {129} سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ {130} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {131} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {132} وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ {133} إِذْ

تَجْنِيَاهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ {134} إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ {135} ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ {136} وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ {137} وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ {138} وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {139} إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ {140} فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ {141} فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ {142} فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ {143} لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {144} فَنبذناه بالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ {145} وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ {146} وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ {147} فَأَمَلُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ {148}.

فكان الآيات تخاطب قريشاً وبني إسرائيل في موضع واحد، وسيكرر هذا في سور قادمة.

(الآيات: 83-113) تتحدث عن إبراهيم، ومما تقول: فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ {88} فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ {89}. وهذا كلام مجمل تفصله آيات في سورة أخرى حيث تقول: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {78}.

وهذا يجعلنا نذكر القراء أن القرآن لا يتحدث بشكل سردي مماثل لما نفعل، بل يتحدث عن جزئية من الموضوع في سورة ويتحدث عن جزئية في سورة أخرى. لذا ولكي يكتمل أي موضوع لابد من جمع كل الآيات التي تتحدث عنه ثم القيام بترتيب قطعه وكأنه لوحة فسيفساء.

(الآيتان: 97-98) إبراهيم لم يلق في النار: قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ {97} فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ {98}. هنا نفي قاطع انه لم يقذف في النار " فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا " لقد فكروا في حرقه لكنهم لم ينفذوا مخططهم هذا.

المفسرون هم من قام بلي معاني الآيات وقال بأنها تقول أنه أحرق ثم قاموا باختلاق قصص خرافية عن تلك النار العظيمة وكيف سجرت وقذف فيها إبراهيم لكنه خرج منها كما دخلها سليماً معافى لم يمسه سوء. وبطبيعة الحال لو كان إبراهيم قذف في النار فستحرقه لأنه بشر من لحم ودم، وكونه نبي لن يحوله لمضاد للنيران. والرسل والأنبياء بشر يجري عليهم كل ما يجري على البشر وقربهم من الله دينياً لا يحولهم لقوى خارقة، لذا قتلت بني إسرائيل بعض النبيين: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {21} آل عمران}.

(الآية: 99) دليل على أن إبراهيم خرج من بلدة قومه باتجاه مكة "وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين". والذهاب لله ليس حرفياً، ولكن تعني الذهاب لبيته. ولا بيت الله الوحيد على وجه الأرض هو الذي في مكة.

وفي ما يلي سنبين بعض أساليب القرآن الكريم ونأخذ لها أمثلة من الآيات التالية: {فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ} {98} وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينَ} {99} رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} {100} فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} {101} فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} {102} فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} {103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ} {104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} {105} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} {106} وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} {107} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} {108} سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} {109} كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} {110} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} {111} وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} {112}.

فالقرآن سرده يختلف عما ألفنا، والآية 98 تبين أن إبراهيم نجا من مخطط قومه ولم تبين الآية كيف نجا. هل هرب هل طرد؟

وبسرعة تنتقل الآية: 99 بنا وإبراهيم ينوي الذهاب لربه (مكة)، ثم تقول الآية: 100 أن إبراهيم دعا ربه ذرية صالحة. وما لم تقله الآيات وعلينا أن نتعرف عليه هو: أن إبراهيم خرج من قرية قومه (ولو أردنا أن نعرف من خرج معه فلا بد للبحث في سور أخرى، مثل سورة العنكبوت التي تقول: {فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {26}. ولم يخرج معهما أحد، كما تؤكد الأنبياء: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} {71}. ولما وصل إبراهيم مكة واستقر هناك أمره ربه بإعادة بناء البيت وتنظيفه وإعداده للحجاج والقيام على خدمتهم (كما تقول سور أخرى) وبعد أن استقر إبراهيم في مكة تزوج، وبعد ذلك دعا ربه بأن يرزقه الذرية الصالحة كما تقول الآية 100 هنا. وقد جاءته البشري بغلامه الأول: {فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} {101}. ثم تنتقل الآية التالية بالحديث عن أن هذا الغلام قد بلغ مع والده السعي، مما يعني أنه ولد وكبر حتى أصبح شاباً يسعى مع والده في المسعى القريب من الكعبة. ثم تتحدث الآيات بتفصيل عن الرؤيا وكيف أن الولد استسلم لرغبة والده وكي فدي بكبش. ثم تقول السورة: {وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} {112}. هذه بشري أخرى بإسحاق، مما يعني أن البشري الأولى كانت بإسماعيل وهو الذي كبر مع والده وهو الذبيح. وإسحاق بشر به والده بعد سنوات من مولد إسماعيل، بل بعد أن أصبح إسماعيل رجلاً وكلف بمشاركة والده وخلافته فيما بعد على

القيام على البيت وخدمة الحجاج، كما تقول سور أخرى، مثل: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} {125} وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} {126} وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {127} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} {128} البقرة.

فالآيات تظهر أن إسماعيل شارك والده في تطهير البيت والقيام عليه وترميمه، في وقت كان فيه إسماعيل قد رزق بذرية كما تدل الآية 128 من سورة البقرة.

ويكون إبراهيم خرج من بلدة قومه مع لوط فقط وقبل أن يتزوج لأنه لازال فتى: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} {60} الأنبياء. وفي مكة تزوج وأنجب إسماعيل، ثم توقفت زوجه عن الإنجاب لسنوات قبل أن تلد إسحاق. وإسماعيل دون إسحاق كلف بالقيام على البيت وأصبحت هذه المهمة حصرية في نسله حتى ظهور الإسلام. وقصة إبراهيم تحوي تفاصيل أخرى لم نتعرض لها سنذكرها في حينها.

ونتوقف عند الآية: وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ {107}. فالله لم يرسل من السماء كبش لإبراهيم ليذبحه بدل إسماعيل. لكنه أسلوب القرآن، الذي يقول فديناه بذبح بدل القول أمرنا إبراهيم بأن يذبح كبشاً عن ابنه. فإبراهيم هو من ذهب وبحث عن كبش وذبحه كفداء لابنه. وهو رد على قصص المفسرين المختلفة التي حولت واقعة الفداء إلى قصص خرافية، عندما صورت الكبش أنه نزل من السماء، بل إن الموروث الشعبي يصور منظر مجرة درب اللبانة في السماء وكأنه الطريق الذي جر معه الكبش.

(الآيات: 123-132) نتحدث عن رسول اسمه إلياس بعث لقومه الذين يعبدون أصناماً أشهرها صنم اسمه بعل. وبعل إله المطر في جنوب غرب جزيرة العرب، ولازال الناس يستخدمون عبارة "زراعة بعلية" للمزروعات التي تسقى بمياه المطر مباشرة. وبعل اسم عربي مما يعني أن قوم إلياس عرب.

(الآيات: 133-138) تتحدث عن قوم لوط. وتذكر أن لوط وأهله أجمعين نجوا إلا عجوزاً منهم، هي زوجته، التي أكدتها سور أخرى. وقريش تعرف مكان قرية لوط ويمرون بالقرب منها في أسفارهم: {136} وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ {137} وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {138}.

(الآيات: 139-148) تتحدث عن قوم يونس، وكيف هرب يونس وركب سفينة اضطر أن يتركها لأن وزنها زائد "مشحون" فالتقمه الحوت (نوع من القرش) وتسبب في إصابات بليغة عانى منها طويلاً قبل أن يشفى ويعود لدعوة قومه الذين آمنوا. وإيمانهم استثناء لا يحدث عادة. فالأمة التي لا تستجيب لدعوة الرسول في البداية لا تستجيب بعد ذلك.

(الآيات: 149-نهاية السورة) تخاطب قريش. فتستنكر عليهم زعمهم أن الملائكة بنات الله. وتنفي أن تكون الملائكة إناث (المخلوقات الروحانية كالملائكة والجن ليس لها جنس (مذكر، مؤنث)). وتقول أن قريش لا تملك مصدراً موثقاً لمزاعمها تلك: فَاسْتَفْتِهِمَ أَلِرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ {149} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ {150} أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ {151} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {152} أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ {153} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {154} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {155} أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ {156} فَآتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {157} وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ {158} سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ {159} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {160} فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ {161} مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ {162} إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ {163} وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ {164} وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ {165} وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ {166} وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ {167} لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ {168} لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {169} فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {170} وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ {171} إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ {172} وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ {173} فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ {174} وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ {175} أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ {176} فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ {177} سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {182}.

(الآيات: 167-170) قريش كانت تتمنى أن يكون لديها رسالة لتؤمن فلما بعث فيهم محمد كفروا. قوله: فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {170} دليل على أن الدعوة تكون بالقرآن فقط، لأن الضمير في "به" يعود للقرآن.

(الآيات: 171-173) وعد من الله بنصرة الرسل ومن آمن. وهنا يجب أن نفهم طبيعة هذا الوعد، هل هو تدخل من الله في مسارات البشر في الأرض؟ أم أن المعنى مختلف؟

الحقيقة هي أن الإيمان بالقضية يكون دافعاً في نفوس الأتباع يجعلهم يدافعون عنها بكل صلابة، وإذا ما دخلوا حرباً ضد أعداءهم فيحاربون بذلك الدافع، وهو عامل هام للنصر. فالمثابرة والدافع والتسلح والتخطيط هي عوامل كسب الحرب. والمؤمنون يدخلون المعركة بإحدى الحسنيين: إما النصر أو الشهادة. لذا فسيواصلون المعارك ولو انهزموا في إحداها أو بعضها، بينما غير المؤمن لن يكون لديه نفس الدافع وسينهار في النهاية ليكسب المؤمنون الحرب.

(الآيتان: 174-181) تشد همة الرسول وتقول أن يصبر وينتظر نهايتهم، ومن ثم عذاب النار الذي ينتظرهم. وعليه مواصلة الذكر والتسبيح.

ثم نزلت سورة النازعات

تبدأ السورة بتقديم صور حسية لانهيار الكون حيث سيجد القرشيون أنفسهم وقد عادوا للحياة يوم القيامة الذي ينكرون: وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا {1} وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا {2} وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا {3} فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا {4} فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا {5} يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ {6} تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ {7} قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ {8} أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ {9} يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ {10} أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً {11} قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ {12} فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ {13} فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ {14}.

ثم تتحدث السورة عن فرعون وهلاكه بسبب تكذيبه، لعل قريش تعتبر: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {15} إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى {16} أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {17} فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى {18} وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى {19} فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى {20} فَكَذَّبَ وَعَصَى {21} ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى {22} فَخَشَرَ فَنَادَى {23} فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى {24} فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى {25} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى {26}.

والآية: 24 تظهر فرعون - وأي فرعون - عندما يصل لدرجة من الزهو بالنفس حتى يظن انه لا قوة إلا قوته ولا حول إلا حوله، وينسى أنه مجرد خلق حقير سرعان ما يهلك.

وتتحول السورة إلى توجيه دعوة عقلانية للتفكير بالخلق: أَلَا إِنَّكُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا {27} رَفَعَ سَمُكَهَا فَسَوَّاهَا {28} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا {29} وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا {30} أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا {31} وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا {32} مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ {33}.

(الآيات: 34-41) وعيد للكافر يوم القيامة وتقديم صور حسية لصحيفة الأعمال وكان الإنسان يستعيد تذكر كل ما فعل، مع صورة للجحيم مصير الكافر: فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى {34} يَوْمَ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى {35} وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى {36} فَأَمَّا مَنْ طَغَى {37} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {38} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى {39} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى {41}.

(دليل على تحريم الطغيان والكبر، وعلى التعلق بالدنيا: فَأَمَّا مَنْ طَغَى {37} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {38}). ثم وعد للمؤمن.

وتختم السورة بالقول: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا {42} فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا {43} إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا {44} إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا {45} كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا {46}.

فقرش تلح على الرسول أن يخبرهم متى الساعة. والرسول لا يعلم الغيب. وما هو إلا نذير. الميت سيشعر أن القيامة قامت بعد لحظات من موته، لأن الذاكرة تتوقف عن التسجيل.

ثم نزلت سورة الذاريات

بداية مشابهة للسورة السابقة: وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا {1} فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا {2} فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا {3} فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا {4} إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ {5} وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ {6} وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ {7} إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ {8} يُؤَفَّكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ {9} قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ {10} الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ {11} يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ {12} يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ {13} ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ {14} إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {15} آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ {16} كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ {17} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {18} وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {19}.

والآيات تخبر أن قرش في جدال حول البعث، ويصرون على الرسول أن يخبرهم متى سيكون؟ فتأتي الآيات لتقول سيكون يوم القيامة وعندها لن ينفعهم أن يعرفوا، فمصيرهم النار التي لم يؤمنوا بها. أما المتقين ففي الجنة لأنهم عملوا لها في الدنيا، ومن ذلك: أن يوم الحساب كان يقلقهم وكانوا يصحون من منامهم مراراً لكثرة تفكيرهم في ذاك المصير، وكانوا يكثرلون الاستغفار والتسبيح وذكر الله بمجرد أن صحوا من نومهم. وكانوا يحرصون على الإنفاق. (صورة لما كان عليه المؤمنون القلة في مكة).

(الآيات: 20-23) تقول لقريش أن هناك دلائل على قدرة الله على البعث لا تحتاج منكم سوى التفكير فيها. في الأرض، وأنفسكم، وفوقكم: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ {20} وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ {21} وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ {22} فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ {23}. وتؤكد الآية 23 أن البعث حق مثل حقيقة أنكم تتكلمون.

(الآيات: 24-46) حديث عن أقوام سابقين بعضهم موجه لقريش لعلها تعتبر مما حدث لهم، والبعض موجه لبني إسرائيل لأنه جزء من تاريخهم، كما في (الآيات: 75-148) من سورة الصافات التي مرت بنا: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ {24} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ {25} فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ {26} فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ {27} فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {28} فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ {29} قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ {30} قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ {31} قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ {32} لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ {33} مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ {34} فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {35} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ {36} وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ {37} وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {38} فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {39} فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ {40} وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ {41} مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ {42} وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ {43} فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ {44} فَمَا اسْتَطَاعُوا مِّن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ {45} وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ {46}.

والآيات التي تتحدث عن إبراهيم بدأت بوصول ضيف (تشكلوا على هيئة بشرية). وعددهم أكثر من اثنين كما تقول عدة سور منها: وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ {69} هود.

(الآيتان: 27-28) الملائكة وكل المخلوقات النورانية لا تملك أجهزة هضمية أو تناسلية أو تنفسية كما المخلوقات الجسدية.

(الآيات: 28-30) البشرى هنا بإسحاق، لأن إسماعيل رزق به في بداية حياته، وتوقفت زوج إبراهيم عن الإنجاب لسنوات قبل أن يحمل الملائكة لها هذه البشرى. أم إسماعيل وإسحاق واحدة.

احتمال أن يكون اسم "سارة" الذي يقول التراث اليهود أنه اسم زوجة إبراهيم جاء من قراءتهم في التوراة آية مماثلة للآية 29 هنا والتي تصف حالة الانفعال الذي شعرت بها زوج إبراهيم لما سمعت أنها ستلد بعد أن ظنت أنها تجاوزت سن اليأس: { فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ } {29}. لقد أقبلت وهي ترتجف "في صرّة". فظن مفسروا اليهود أن "صرّة" اسم، وقالوا هو اسم زوج إبراهيم. فأصبح اسمها بعد موتها صرة تحولت إلى سارة. مثلما حول مفسروا المسلمين افتتاحيات السور "طه" و "يس" إلى اسم للرسول عليه الصلاة والسلام.

(الآيات: 31-37) نتحدث عن مهمة ضيف إبراهيم وما حل بقوم لوط. ويستفاد هنا الأدلة التالية: أن لوط الذي خرج مع إبراهيم، كان من قوم إبراهيم وكلف بالرجوع للقرية كرسول من الله، مثلما كلف موسى بالعودة لمصر فرعون التي هرب منها بعد أن قتل نفساً. وما يؤيد ذلك أن الملائكة المكلفون بإبلاغ لوط ومن آمن معه للخروج من القرية لأن الهلاك سيحل بها، جاؤا وأبلغوا إبراهيم بما سيحدث، ول كان قوم لوط ليسوا قوم إبراهيم فلن يكون هناك أي داع لإبلاغ إبراهيم بما سيحل بهم.

قوله "لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ" {33} مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ {34} "تعني بركان. لكن المفسرين حولوها إلى طيور تحمل حجارة صغيرة مكتوب على كل واحدة اسم من ستقع عليه. وكأن المصاب بحال تؤهله ليقرا اسمه على حجر نقر رأسه وخرج من دبره. حجارة من طين مسومة = حجارة مصهورة.

قوله: وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم". هي أطلال القرية المنكوبة التي بقيت ظاهرة حتى زمن رسول الله، وكانت قريش تمر بها حيث تقع بالقرب من طريق التجارة القديمة الذي تسلكه قريش، كما ورد في سورة الصافات السابقة: {وَأَنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} {137} وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {138}.

(الآيات: 38-46) سرد لأقوام سابقين أهلكوا لعل قريش تعتبر.

وتعود السورة لدعوة عقلانية للإيمان: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ {47} وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَانْعَمِ الْمَاهِدُونَ {48} وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {49} فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {50} وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {51}.

(الآيتان: 52-53) تأكيد على أن من لم يؤمن من قريش لن يؤمن لأنهم ساروا على سنة سلكتها كل الأمم قبلهم، وكأنهم تواصلوا به: كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ {52} أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ {53}.

ومع ذلك لا بد أن يواصل محمد دعوته بلا توقف ولو أن النتيجة محسومة.

(الآيتان: 54-55) شحذ لهمة الرسول وعدم الانزعاج من كفرهم وعليه أن يهتم بتذكير المؤمنين: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ {54} وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ {55}.

(الآيات: 56-58) تقول أن الله من حكمة خلقه للجن والإنس هي أن يعبدوه ليس لأنه بحاجة لها ولكن لأنها الطريق للجنة: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56} مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا {57} إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ {58}.

وإلا فالله غني عن العالمين: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ {97} آل عمران.

وتختتم السورة بوعيد للذين ظلموا (كفروا): فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ {59} فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ {60}.

ثم نزلت سورة الأحقاف

أول سورة تبدأ بـ "حم"، وأول سورة تذكر أن أحد بني إسرائيل آمن برسالة محمد، وهذا يعني أن تحول الخطاب لكل الناس في هذه المرحلة وبدء من سورة "ص" قد بدأ يلفت أنظار الناس خارج مكة للإسلام: حم {1} تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {2} مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ {3} قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {4} وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ {5} وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ {6} وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ {7} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {8} قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {9} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ

شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {10} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَافٌ قَدِيمٌ {11} وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ {12}.

وهذه الآيات رد على اتهامات قريش لمحمد وتأكيده على أن القرآن وحي منزل من الله.

(الآية: 2) تأكيد على أن القرآن وحي من الله، وفي نفس الوقت دليل على أن الدعوة لا تكون إلا بالقرآن، فلم تشر السور التي مرت بنا حتى الآن أن محمد كان يستخدم ما يعرف اليوم بالوعظ وجلسات الذكر، بل إن القرآن حذره من أن يستخدم غير القرآن للدعوة. فهو مجرد رسول، والرسول عليه أن يكون أميناً بحمل الرسالة وتوصيلها كما وصلته دون زيادة أو نقص أو شرح أو تعليل.

(الآية: 3) تأكيد لما سبق من أن السموات والأرض لها فترة زمنية محددة وستنهار، وبعدها سينشأ كون القيامة.

(الآية: 4) رد على عقائد قريش، وفي نفس الوقت دليل على أن القرآن وحده يستخدم في الدعوة: "أنتوني بكتاب من قبل هذا". ودليل أيضاً على أن كتاب تأتي بعده معاني، وهي هنا بمعنى نصوص، ولو لم تكتب. فالقرآن لم يكتب في مكة.

(الآيتان: 5-6) تتحدث عن ضلال قريش بعبادتها للأصنام (جماد). والآية 6 تصور الأصنام يوم القيامة وكأن لها أرواح بحيث تكفر بعبادة قريش لها، وهذا كناية فقط على أنها لن تنفعهم، لتقريب المعنى.

(الآية: 7) دليل على أن الرسول كان يدعو الناس بتلاوة القرآن فقط.

(الآية: 8) دليل آخر على أن الدعوة بالقرآن فقط، ولو كان هناك غير القرآن لأشارت له الآيات. فدائماً كما سنرى قريش تعترض على ما تسمع من محمد، ولم تسمع منه في الدعوة سوى القرآن. ونفس الآية للرد على من لا يؤمن بالبعث أو الدين، فيقال له كن كما تعتقد وأنا كما أعتقد، ويوم القيامة إن كان هناك قيامة ستندم وإن لم يكن هناك قيامة فلن أندم لأنني لن أعلم بذلك أبداً.

(الآية: 9) الرسول لا يعلم الغيب، ما هو إلا نذير، وليس مفسراً ولا شارحاً للقرآن.

(الآية:10) أول مرة تقول السور أن أحد بني إسرائيل قد آمن برسالة محمد. وللتاريخ يمكن الجزم أن أول من أسلم كان رجلاً واحداً، كما تقول الآية. وهذا دليل أيضاً على أن الأوس والخزرج لم يكونوا هم أول من أسلم - كما تزعم كتب السير - والقرآن لا يذكرهم أبداً.

(الآية: 11) إشارة إلى أن من أسلم لم يكونوا من عليّة القوم اجتماعياً (مال وجاه) وهذا متوقع فالسنة التي سارت عليها الأمم أن الضعفاء هم أغلب من يستجيب للدعوة، ومعهم بعض من يبحث عن وضع أفضل من الطبقات الأخرى. ومنطق قريش مشابه لمنطق المم السابقة وما قالوه هنا كأنه تكرار لما قاله كفار ثمود لمن آمن: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} {75} الأعراف.

وكما قال كفار قوم نوح لمن آمن: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشِراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} {27} هود.

(الآية:12) دليل على أن إنجيل عيسى لم يكن شريعة متكاملة مثل التوراة والقرآن. وما هو سوى تجديد لدعوة موسى فقط. كما أن التوراة والقرآن هما الكتابان الوحيدان اللذان كتبنا من بين كل رسالات الرسل المذكورين في القرآن. وهو ما تشير له الآية 30 في نفس السورة.

ثم تعد السورة وتبشر المؤمنين القلة في مكة: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {13} أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {14}.

وبعد ذلك ترد آيات تبدأ بتشريع، يوصي فيه رب العالمين الإنسان (ذكر أو أنثى) بأن يحسن لوالديه. والإحسان يعني التودد لهم وحسن معاملتهم والحديث إليهم، إضافة لعونهم المادي وسد احتياجاتهم قدر المستطاع، وتقديم الهدايا لهم في أي مناسبة: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّيْ تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {15} أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ {16} وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُهُ أَفْ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَإِلَيْكَ آمِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {17} أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ {18}.

والآية 15 تتحدث عن أن الإنسان إذا بلغ أربعين سنة فعليه أن يشكر نعم الله وأن يعمل ما يرضي الله ويتوب عن أي معصية. فهل هذا يعني أن ارتكاب المعاصي قبل الأربعين جائزة؟

لا أظن أن هذا هو المقصود. ولا أستطيع أن أعرف ما المقصود.

والحديث عن وجوب الإحسان للوالدين، مقدمة لما تتحدث عنه الآية: 17، التي تقول: وَالَّذِي قَالَ لُؤَالِدِيهِ أَفْ لَكُمَا أَنْتَ دَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلْتُ الْفُرُونَ مِنْ قَلْبِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. هذه – كما أفهمها – واقعة حدثت في هذه الفترة. أم وأب في مكة مؤمنان يحاولان أن يقنعا ابنهما بالإسلام لكنه يرفض.

وتقول الآية 16 أن من يحسن لوالديه وهو مؤمن فله الجنة، بينما ستكون النار مصير من يسيء إليهما كما تنص الآية 18.

ثم تقول السورة: وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {19} وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ {20}.

فالحساب سيكون عادلاً لا يخضع للعواطف، فيغفر الله لهذا ويعذب هذا، ولكن العقاب والثواب سيكون بناءً على أعمال المرء. وتقدم لسان حال الكفار يوم القيامة، الذي ظلم نفسه باستكباره في الدنيا وكأنه سيخلد وفسقه، ولم يظلمه الله. دليل على أن يعرضون على النار تعمي يدخلون فيها، وهو رد على من استشهد على أن هناك عذاب قبر بقوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} {46} غافر. وغدواً وعشياً فقط صورة حسية لتعني الاستمرار، مثل قوله تعالى عن أهل الجنة: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} {62} مريم. والجنة ليس فيها شمس بشهادة القرآن: {مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا} {13} الإنسان.

وتتوجه السورة بالخطاب لقريش عما حدث لقوم عاد الذين كفروا كما قريش واهلكوا، برغم أنهم كانوا أقوى وأغنى من قريش: وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّجُومُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {21} قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكَ عَنْ إِلَهِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {22} قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ {23} فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ {24} تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ

كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ {25} وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {26} وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {27} فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ {28}.

(الآية: 26) التمسك بالموروث يجعل العقلاء والمفكرين لا يستخدمون عقولهم لنقد موروثهم أو تركه والتصديق بالدين، وهو ما أكدته سور أخرى تتحدث عن عقلاء قريش الذين تمسكوا بالموروث ولم يؤمنوا: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا {44} الفرقان.

ثم تتحدث السورة عن واقعة استماع نفر من الجن للرسول أثناء تلاوته القرآن على قريش كالعادة في دعوته لهم، وهو ما تحدثت عنه سورة الجن السابقة: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ {29} قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ {30} يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {31} وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {32}.

(دليل على أن الرسول لم يرههم ولم يشعر بهم، ولو لم يخبره القرآن لما عرف أبدأ. وهو دليل ضد من يقول بروية الجن).

وتوجه السورة دعوة عقلانية للتفكير بالخلق للاستدلال على قدرة الله على البعث: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ بَقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {33}.

وتقول السورة: وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {34}. يعرضون يعني يعذبون في النار، رد على من يعتقد بعذاب القبر ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ {46} غافر.

وتختتم السورة بشذوذه الرسالة وتجدد لبرنامج التأهيل النفسي، مما يعني تزايد الضغوط النفسية عليه: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَعَلَّ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ {35}.

ثم نزلت سورة الجاثية

نزلت في وقت آمن فيها أحد بني إسرائيل، على الأقل. واتضح لقريش أن محمد لم يعد يوجه دعوته لهم فقط، بل لكل الناس. وسط أجواء مشحونة، صعدت فيها قريش من سخريتها من القرآن ومحمد بل وبدأت تسخر وتتهكم على أشخاص المسلمين. والسورة تبدأ بداية مماثلة للسورة السابقة.

(الآيات: 1-5) دعوة عقلانية للتفكير: حم {1} تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {2} إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ {3} وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ {4} وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {5}.

وتقدم السورة دليلاً على أن الدعوة كانت بتلاوة القرآن على الناس فقط. لا تفسير لا حديث: تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ {6}.

قوله "نتلوها عليك" لا تعني نلقنك. لأن القرآن ينسخ في ذاكرة الرسول، كما صرحت سور عديدة.

(الآيات: 7-10) تحذير لقريش لرفضهم الدعوة واستهزاءهم بالقرآن: وَيْلٌ لَّكَ أَفَّاكَ أُنِيم {7} يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْذِرُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {8} وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ {9} مِن رَّانِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {10}.

(الآية: 11) دليل آخر على أن الدعوة كانت بالقرآن فقط: هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ {11}.

(الآيتان: 12-13) عود للدعوة العقلانية والتفكير بالخلق للاستدلال على قدرة الخالق على البعث: اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ فِيهِ فَاكُمُ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {12} وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {13}.

ثم تتوجه السورة لمخاطبة المؤمنين في مكة على لسان محمد: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {14} مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ {15}.

والآية 14 تطلب من المسلمين أن يتسامحوا مع كفار قريش. وهذا يعني أن قريش بدأت تطلب المسلمين بالأذى النفسي بشكل مزعج. والآية تقول للمسلمين ألا يبادلوهم السيئة بالسيئة بل عليهم الصبر والتسامح. لأن مبادلة قريش السب والشتم سيعطي قريش ذريعة في التعدي الجسدي عليهم. وتقول بقية الآية والآية التي تليها أن قريش يسخرون من المسلمين ودينهم والقرآن لأنهم لا يشعرون بقدسية القرآن وعظمة دين الله. والآية 14 دليل على أن كل نفس بما كسبت رهينة وأن الأعمال في الإسلام لا تكون بالنيابة. أي لا يمكن أن يقوم شخص بتأدية عبادة أو عمل خير عن الآخر. وهو ما يخالف السائد الآن، مثل الحج عن الغير أو إخراج صدقات عن الوالدين أو الأقارب. فأجر هذه الأعمال لن يصلهم.

ثم تقدم السورة حديثاً عن بني إسرائيل لا يمكن أن نجده في سور المرحلة الرابعة لأن المخاطب كان قريش فقط، أما الآن فالمخاطب قريش وكل الناس: وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ {16} وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {17} ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ {18}.

وأيضاً الآيات دليل على أن الدين واحد وأن دعوة محمد نسخة الدين الأحدث والصحيحة " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا".

وتقول السورة: ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ {18} إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ {19}.

والخطاب موجه للرسول أن يتمسك بالحق الذي معه ولا يلتفت لإصرار قريش على الباطل.

(الآية: 20) القرآن بصائر ورحمة: هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ {20}.

ودليل على أن القرآن وحده المستخدم للدعوة، ولا ذكر لغيره أبداً.

وتقول السورة أن من عدل الله المطلق ألا يغفر للكافر ومستحق النار، أو يدخل النار مستحق الجنة: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ {21}.

والله لا يتعامل بالعواطف، وهو ما تؤكد الآية 22 فكل شيء بالكون أو الحساب خلق بالحق وبموجب قوانين ثابتة لا تتغير من شأن مخلوق: وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {22}.

ثم تتحدث السورة عن قريش التي اتبعت أهواءها ولم تسمح بالتفكير بعقلانية: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {23} وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ {24} وَإِذَا تُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {25} قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {26} وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ {27}. وكانت تبريراتهم سطحية مثل قولهم إن كان هناك بعث فاتنا يا محمد بمن مات من آباءنا. وكان البعث سيكون في هذه الدنيا برغم أن سور عدة أخبرتهم أن البعث سيكون في كون آخر، لكنهم غير جادين بالبحث عن الحق. وسيندمون يوم لا يفيدهم الندم.

وتؤكد السورة أن الحساب سيكون بموجب ما تسجله صحيفة الأعمال: وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {28} هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {29} فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ {30} وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنْزَلُ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ {31}.

وتستكمل السورة الحديث عن قريش وكيف أنهم يسخرون من البعث ومن القرآن، وسيكون مصيرهم النار: وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ {32} وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {33} وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ {34} ذَلِكَ بِأَنكُم اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ {35}.

وتختم السورة بتقديم الحمد لله كما سورة الصافات السابقة: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {36} وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {37}.

ثم نزلت سورة فاطر

بدأت السورة بعبارات مماثلة لما ختمت به السورة السابقة، بتوجيه الحمد لله: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {1}.

وتقول الآية الأولى أن الملائكة (المخلوقات النورية) ليسوا خلقاً واحداً ولكنهم مخلوقات متفاوتة القدرات، التي عبرت عنها الآية بالأجنحة. ومن هؤلاء الملائكة رسل، قد تكون إشارة إلى نقلهم الوحي للرسول من البشر.

وتقول (الآيتان: 2-3) كل ما هو موجود بين الناس فقد أودعه الله ويسره لهم وما لم ييسره الله أو يوجد فلا سبيل لهم للحصول عليه. فلماذا لا تؤمن قريش: مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {2} يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ {3}.

(الآية: 4) تؤكد لمحمد أن كل الرسل قبله كذبتهم أقوامه، كما قريش: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ {4}.

ثم تتوجه السورة لمخاطبة الناس: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ {5} إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ {6} الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {7}

وهي أول آيات تخاطب كل الناس باستخدام عبارة "يا أيها الناس" وتؤكد لهم أن البعث حق وأن الحياة الدنيا متاع الغرور، فلا تتبعوا خطوات الشيطان فيكون مصيركم النار. والشيطان هنا ما توسوس به النفس لصاحبها، أو جانب الشر في الإنسان وليس بالضرورة تعني إبليس. وما يؤكد ذلك أن الآية 8 تقول: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ". فالإنسان هو من يختار عمله وليس إبليس من يضلّه بدون إرادته. وقول الآية أن الله يضل

من يشاء ويهدي من يشاء لا تعني ما هو شائع مما يعرف بأن الله قد كتب منذ الأزل فلان شقي وآخر سعيد، ولكنها تعني أن كل ما يدور في خلق الله فهو بإرادة الله ولو لم يشأ لم يحدث.

ثم تخاطب السورة الرسول: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {8}

وتطلب من الرسول ألا يحزن على إصرارهم على الكفر، وتظهر كم كان رسول الله حساساً ورقيق المشاعر، فهو يحزن كثيراً على قومه على إصرارهم على الكفر المؤدي بهم للنار.

وتوجه السورة دعوة عقلانية لقريش: وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ {9} مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ {10} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ {11} وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِنَبْتَعُ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {12} يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ {13} إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ مَثَلُ خَبِيرٍ {14}.

وقوله في الآية 11: " وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ". مماثل لما ورد في الآية الثامنة، فليس المقصود أن الآجال والأرزاق مقسمة مسبقاً، ولكن كل ما يحدث بإمكان الله جل وعلى أن يمنعه ولكنه لن يفعل. وكل ما يحدث فانه يعلمه ولكنه لا يقدره مسبقاً على الخلق. لأن حرية الاختيار من عدله المطلق سبحانه.

(الآية:14) دليل على من لا يؤمن في بداية سماعه للدعوة لن يؤمن أبداً. ودليل على أن المسلمين كانوا يشاركون في الدعوة مع الرسول. وهو ما أكدته الآية 33 من سورة فصلت.

ومرة أخرى في السورة الخطاب يتوجه لكل الناس: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ {15} إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ {16} وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ {17}.

لقد أصبح تحول المخاطب في القرآن واضح الآن.

(الآية:18) تؤكد ما سبق وذكرته الآية 19-20 من سورة الأحقاف، فكل إنسان سيسجل له من الأعمال ما يقوم بها هو، ولن يسجل له أعمال أو عبادات يقوم بها غيره، بخلاف السائد. ومن كان مريضاً أو عاجزاً فلا حرج عليه، أما القادر فبإمكانه أن يقوم بالعمل أو العبادة لو رغب: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَتِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ {18}.

(الآيات:19-22) من عدل الله المطلق ألا يغفر لمستحق النار ولا يعذب مستحق الجنة: وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ {19} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ {20} وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ {21} وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ {22}.

والآية 22 تنفي ما قالته كتب السير والحديث والتفسير من أن الرسول تحدث مع قتلى قريش في بدر بعدما ألقى بهم في بئر من آبار بدر، وقد سمعوه. الآية تنفي أن يستمع الميت لكلام الرسول، وهي هنا كناية على أن قريش لن تؤمن وشبهتهم بالموتى لأنهم لن يصغوا لدعوة الرسول مهما دعاهم وكأنهم أموات.

(الآيات:23-26) تؤكد لمحمد أن مسئوليته تتوقف عند التبليغ وليس مسئولاً عن هداية البشر: إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ {23} إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ {24} وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ {25} ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ {26}.

وقد يكون محمد يشعر أحياناً أن سبب عدم إيمان قريش هو انه لم يحسن التبليغ فيلوم نفسه، فتتزل الآيات تنفي ذلك. وتؤكد له أن ما يحدث له حدث مع كل الرسل قبله، وأن الله أهلك المكذبين.

(الآيتان:27-28) دعوة عقلانية موجهة لقريش وإن كانت تخاطب محمد: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ {27} وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ {28}.

والآيات دليل على أن الناس لم يخلقوا من آدم أو من أب واحد وأم واحدة، مثلهم في ذلك مثل بقية المخلوقات الحية على الأرض. فكل فصيلة أو سلالة خلقت في بيئة تتناسب مع صفاتها وألوانها. فمثل ما هناك ثعلب قطبي فهناك إنسان خلق في تلك البيئة. ومثلما هناك ثعلب في أفريقيا

بمواصفات تختلف عن الثعلب القطبي وملائمة للحياة في بيئة استوائية، فهناك إنسان خلق هناك تلائم مع البيئة المحيطة... وهكذا.

ثم تخبر السورة عن المطلوب لدخول الجنة في هذه الفترة، وهي: إقامة الصلاة، الإنفاق، إضافة لتلاوة القرآن والإيمان بالله والبعث: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ {29} لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ {30}.

(الآية: 31) تخاطب محمداً لتأكيد أن الوحي (القرآن) الذي يتلقاه هو الدين الحق المتوافق مع الوحي السابق: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ {31}.

دليل آخر على أن الرسول لا يتلقى من ربه إلا القرآن، ولا يدعوا بغيره.

(الآيات: 32-37) من المحتمل أنها تقول أن هذا القرآن سيرثه بعدك المسلمون، وبحسب طاعتهم لقوانينه وتشريعاته سيحاسبون: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ {32} جَنَّاتٌ عُدْنِ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ {33} وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ {34} الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ {35} وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ {36} وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ {37}.

دليل آخر على أن الدين = القرآن فقط.

وتؤكد السورة حقيقة: إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {38}

وتؤكد السورة على أن الدين خيار شخصي: هُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا {39}.

وتوجه السورة دعوة عقلانية لقريش: قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا {40} إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا

إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا {41} وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا {42} اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا {43} أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا {44}.

الآية 41 قريش كانت تتمنى لو جاءها رسول فلما جاء محمد كفروا به، لأنهم تبعوا سنة سارت عليها كل الأمم. فمصالح الدنيا والتعلق بالموروث وعوامل أخرى تمنع الناس من الإيمان.

وتختتم السورة بالقول: وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا {45}.

دليل على أنه لا عذاب في الدنيا للكافر ولكن يؤخر للقيامة، ودليل على عدم وجود عذاب في القبر.

فلماذا أهلكت أقوام سابقين مثل قوم نوح، عاد، ثمود، قوم شعيب، ولوط؟

لو استعرضنا ما حدث لهم لوجدنا أنهم أهلكوا بكوارث طبيعية: زلازل، براكين، ريح، غرق. وهذه الكوارث كانت ستقع في تلك المناطق، ولم تقع لعقابهم ولو لم يكونوا هناك لما وقعت. لكن لو أنهم آمنوا فسيبتعدون مع رسولهم ومن آمن معه وينجوا من الهلاك. فنجاة الرسول ومن آمن معه هو المعجز هنا، وليس وقوع الكارثة.

والكوارث ستستمر بالوقوع، وهي تقع الآن، بغض النظر عن سكان المناطق التي تقع فيها. فقد يكونوا مؤمنين صالحين، وقد يكونوا كفاراً مسالمين أو مجرمين.

ثم نزلت سورة فصلت

بداية مماثلة لبداية سورتي الأحقاف والجن، ونزلت في نفس الفترة، حيث تغير الخطاب في القرآن إلى غير قريش، ولكن لم يتزايد الداخلون في الإسلام بعد، برغم دخول أحد بني إسرائيل الإسلام: حم {1} تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {2} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {3} بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {4} وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّنَا غَامِلُونَ {5} قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ {6} الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {7} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ {8}.

الملاحظ أن السور في هذه المرحلة تبدأ بالحديث عن القرآن وانه وحي من الله، وهذا صاحب تغيير المخاطب، فالقرآن الآن يخاطب كل الناس وبني إسرائيل ويؤكد لهم انه وحي بالفعل وعليهم الإصغاء له.

والآيات أعلاه تقول برغم أن القرآن تنزيل من الله وآياته عربية سهلة الفهم وهو يبشر من آمن وينذر من كفر إلا أن قريش رفضته. وتطلب قريش من محمد ما لا يستطيع، مثل إخبارهم بموعدهم البعث أو إحياء آباءهم، فنقول الآيات أن محمد مجرد بشر، وتحذر من لا يؤمن به.

(الآية: 7) تطلب من قريش الكافرة أن تنفق لبناء مجتمعاً متسامحاً متعاوناً بغض النظر عن العقيدة، وهو ما سبق وطلبت آيات أخرى في بداية الدعوة كما مر بنا في الآية 48 من سورة يس، والآيات: 33-41 من سورة النجم التي تخبرنا عن أحد أغنياء قريش الذي استجاب لدعوة القرآن للمشاركة في التكافل الاجتماعي والتعايش بسلام وبناء مجتمع متسامح يحمي كرامة المحتاج بغض النظر عن المعتقد، فقام بالإنفاق لمرة واحدة، ثم توقف، وامتنع عن الاستمرار.

(الآيات: 9-12) دعوة عقلانية لقريش: قُلْ أَنْتُمْ أَنْتَ كُفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ {9} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ {10} ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ {11} فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {12}.

وهي دليل على أن العصر الجيولوجي أحد معاني اليوم. والآيات تقول أن الأرض خلقت في يومين (عصرين جيولوجيين) وجعل فيها أقواتها في أربعة عصور جيولوجية أصغر، ضمن العصرين الجيولوجيين السابقين. وتحدث عن تكون الغلاف الجوي في عصرين.

(الآيات: 13-18) قصص عن أمم سابقة وكيف أهلكت لعل قريش تعتبر: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ {13} إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ {14} فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {15} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لَّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ {16} وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {17} وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ {18}.

(الآية: 17) كناية على اختيار الضلال.

(الآيات: 19-24) تتحدث عن مصير الكفار يوم القيامة: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ {19} حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {20} وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {21} وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ {22} وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ {23} فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعِزُّوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ {24}.

وتعطي الآيات صوراً حسية للكيفية التي تسجل فيها الأعمال، ضمن آلية في النفس تسجل كل ما يمر بالحواس الخمس من الولادة إلى الموت، وبناءً على هذا السجل يكون الحساب. فحاسة السمع تسجل ما تسمع، حاسة البصر تسجل ما ترى، الجلود تمثل حاسة اللمس، وكذلك حاسة الشم وحاسة الذوق. وهو ما تعرف عليه أخيراً علم النفس، فكل حاسة تسجل ما يمر بها. ولعل هذه الآيات أول آيات تتحدث بوضوح عن عمل آلية تسجيل الأعمال، وكانت الآيات قبل ذلك تقدم صوراً حسية وكنايات عن هذه الآلية، فمرة تصورها كميزان، وأخرى كأن هناك مخلوقات حية تسجلها... الخ.

ثم تقول السورة: وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّاتُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ {25} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ {26} فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ {27} ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {28} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الدِّينَ أَضْلَانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ {29}.

وهي تشير باختصار للمستضعفين في مكة وتبعيتهم للكبراء في الكفر، وسنرى أن السور القادمة ستحدث عن الموضوع بوضوح.

(الآية: 26) كبراء قريش سعوا وبقوة لصد غيرهم من الدخول للإسلام، سواء صد عبيدهم ومواليهم أو أناس آخرين من غير قريش. وهذا يعني تطوراً جديداً لنشاط قريش المعادي للإسلام. وسنرى في سور قادمة كيف أن صد الناس عن الاتصال بالرسول والمسلمين سيكون من أكثر النشاطات المعادية التي تقوم بها قريش في المراحل الأخيرة من الدعوة في مكة.

(الآيات: 30-33) طمأنة للمؤمنين (القلة في مكة) أن الله معهم، في الدنيا والآخرة، وهذا ما يجب أن يؤمنوا به: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ {30} نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ {31} نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ {32} وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {33}.

وتقول الآية 33 أن أحسن الناس من آمن وعمل صالحاً وهو مسلم. وهو ما ينفي الإيمان بالله والعمل الصالح لغير المسلم. ودليل على أن المطلوب الآن الإسلام دين محمد وليس التوحيد فقط. ودليل على أن على المسلم أن يدعوا لدين الله. وبما أن الرسول لم يكن يستخدم كلامه الشخصي ولا يزيد عن تلاوة القرآن على الناس، فالدعوة الحالية بالمواعظ مخالفة لأمر الله وسنة نبيه وما يجب على المسلم. لأن المواعظ تعتمد القصص وعبارات القاص، بينما الدين لله والدعوة له بتلاوة كلامه أو توفير المصحف فقط لمن يرغب في الإطلاع على دين الله. وهو ما ينفي ما هو شائع أن المصحف لا يمسه إلا المطهرون أي المسلم الذي توضع كما هو الوضوء للصلاة. فلا يمسه المطهرون المقصود بهم الملائكة المكلفين بنقل نصوص الوحي من اللوح المحفوظ إلى رسول البشر.

(الآيات: 34-36) تطلب من الرسول ألا يقابل إساءات قريش وكلامهم البذيء بمثله، بل عليه أن يقابل كلامهم السيئ بكلام طيب، وسيخجل القرشي ويشعر بالأسف بل وبمشاعر ود تجاه محمد: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {35} وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {36}.

وهذا مطلوب من كل مسلم، كما أنه يدل على ما وصلت إليه الحال في مكة حيث تطور أذى قريش للرسول بشكل مؤذي. وقد سبق وطلبت آيات 14-15 من سورة الجاثية من المسلمين الصبر على شتائم وأذى قريش.

إذاً، الجو في مكة غير مريح للرسول والمسلمين وتغير عما كان عليه في المرحلة الرابعة والسبب أن الدعوة الآن متوجهة لمستضعفي قريش من موالي وعبيد ولو آمنوا لثلت الأعمال في مكة. كما أن دخول غير قريش في الإسلام يعني قوة لمحمد الذي سفه معتقداتهم ولم يراع كبريائهم، وهو ما لم يتجرأ عليه غيره.

(الآيات: 37-39) دعوة عقلانية لقريش: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ {37} فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ {38} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {39}.

(الآية: 40) تقول لا يستوي مصير المؤمن والكافر، لو فكرت قريش: إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {40}.

(الآيتان: 41-42) تؤكد أن القرآن من الله وليس فيه نصوص من غيره: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ {41} لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ {42}.

ودليل على أن الدعوة لا تكون بغير القرآن.

ثم تقول السورة لمحمد أن موقف قريش منك واجهته الرسل السابقة، ولو نزل القرآن بغير العربية لقالوا لماذا لم ينزل بالعربية والأعجمية وسيجدون تبريرات لكفرهم، وإلا فهو (القرآن) هدى وشفاء (لما في الصدور) ومن لا يؤمن فقد ضل الحقيقة: مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ {43} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ {44}.

دليل على أن القرآن لا يشفي المرض ولكن يشفي الفكر.

(الآية: 45) حديث موجه إلى بني إسرائيل، عن كتاب موسى وعن اختلافهم في قبول الحق: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ {45}.

(الآية: 46) تأكيد على أن ما تسجله صحيفة الأعمال هو ما يقوم به المرء لنفسه ولا تسجل ما يقوم به غيره نيابة عنه. كما سبق ومر بنا: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ {46}.

وتختتم السورة بدعوة عقلانية: إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ {47} وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِيصٍ {48} لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ {49} وَلَئِن أَدْنَاكَ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُ لَيَكُونَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ {50} وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ {51} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ {52} سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {53} أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ {54}.

ثم نزلت سورة الدخان

البداية مماثلة للسورة السابقة: حم {1} وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ {2} إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ {3} فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ {4} أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ {5} رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {6} رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ {7} لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ {8}.

والآيات تؤكد أن القرآن تنزيل من الله، والآيات تجيب على أسئلة رددتها قريش على الدوام عن بداية تلقي الرسول الوحي، ومتى كان؟

امتداداً لملاحقة الرسول بالأسئلة سخريّة منهم وعدم تصديق، وليس للمعرفة واليقين، فجاء الجواب: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ {3} فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ {4} أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ {5}.

وتساؤل قريش عن بداية الوحي ومتى، بدأ من بداية المرحلة الرابعة، وقد أجابهم سور عديدة ومنها سورة القدر: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {1} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ {2} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ {3} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ {4} سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ {5}.

ولأن قريش استمرت تكرر نفس السؤال جاء تكرار الإجابة في السورة التي بين أيدينا. وفي المدينة نزلت سورة البقرة التي فرضت فيها تشريعات كثيرة منها الصيام، وقد ذكرت السورة أن الليلة المباركة التي بدأ نزول الوحي فيها كانت من ليالي رمضان. فهذه الليلة تباركت لأن الوحي بدأ النزول فيها، وليس لأنها ليلة مقدسة أصلاً: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} {185} البقرة.

لكن المفسرين الذين حولوا العروة الوثقى التي وردت في سورة البقرة، إلى حلقة معدنية، وحولوا الصراط – الطريق المستقيم – إلى ممر فوق جهنم يجب على كل من يريد دخول الجنة أن يعبره. وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف، وكأننا في لعبة تحد وهزل. هؤلاء المفسرين حولوا ليلة القدر إلى ليلة غامضة مبهمة لها طقوس غير واضحة ولها قوة عجيبة. تحدث فيها أعاجيب وظواهر غير طبيعية، من دعا أثناءها فستتحقق له أمانيه. وزيادة في التشويق قالوا أنها أخفيت ولا أحد يعلم أي ليلة من ليالي رمضان هي، وعلى الناس تحريها. ونسي الناس أن قدسيته استمدت من كونها أول ليلة يتلقى فيها محمد أول سورة من القرآن، وليس لها قدسية بذاتها. وهذه هي حقيقتها التي يمكن للمسلمين الاحتفال بها - إن شاءوا - دون انتظار تحقق أماني أو حدوث معجزات حسية، أو تحويلها لليلة يقبل فيها الله الدعاء أكثر من غيرها، أو أنه مطلوب فيها الذكر وقراءة القرآن أكثر من غيرها. فكل هذه المزاعم لا أصل لها في دين الله، وإنما ألصقت فيها بواسطة البشر. واللافت أن أكثر من يهتم بليلة القدر بمفهوم المفسرين هم أشد مذاهب المسلمين تشدداً ومحاربة للغلو، كما يزعمون. فهم يحرمون الاحتفال بذكرى مولد النبي مثلاً، لكنهم يتناسون ما يnehون عنه غيرهم في حالات يهتمون فيها بموضوع معين، مثل اهتمامهم بما سموه ليلة القدر "العجيبة".

(الآية:9) بعد أن تجيب قريش على سؤالهم عن بداية الوحي، تقول أنهم ليسوا جادين في السؤال، ولكنهم يسخرون: بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ.

ثم تقول السورة: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ {10} يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ {11} رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ {12} أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ {13} ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ {14} إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ {15} يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ {16}.

لقد حول المفسرون الآية العاشرة وكأنها تتحدث عن دخان يظهر في آخر الزمان. والحديث في الآية موجه لمحمد، والمفسرون لا ينكرون هذا، ولا ينكرون أن الذين تتوعدهم الآية هم قريش.

وبناءً على هذا فالدخان يجب أن يكون قد حدث في عصر رسول الله، وإن قريش طلبت من الرسول أن يكشف العذاب فكشف. لكن الواقع يقول أن هذا لم يحدث، ولم تر قريش دخاناً، لأنه لو حدث فسيكون واقعة تؤرخ بها العرب أيامها كالفيل أو ذي قار، ولما غفل عنها التاريخ. وسيكون معجزة ومحمد لم يجر على يديه أي معجزة.

لكن الذي حدث هو لي لمعاني الآيات الواضحة، لأن الحديث في الآيات عن قريش التي أعلنت الكفر، وهو موجه لمحمد "فارتقب" وهذا كناية مثله مثل قوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} {39} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} {40} وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} {41} يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ} {42} ق.

فالآيات تتشابه مع آيات الدخان، حيث تتحدث عن قريش الراضية للحق، وتتوجه للرسول لتشد من عضده وتشجذ همته على مواصلة الدعوة ولو لم يستمعوا له، وتقول: وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ. والرسول لن يستمع لذلك لأنه سيحدث يوم القيامة: يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج.

ومثلها (الآية: 59) التي تقول: فارتقب إنهم مرتقبون في نفس سورة الدخان.

فآيات الدخان تقول لمحمد أمهلهم قليلاً وسيحاسبون في يوم يغشى السماء دخان (صورة حسية لما سيحدث للكون). عندها سيدعو كفار قريش ربهم بأن يكشف عنهم العذاب وسوف يؤمنوا: {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} {12}.

والآيات ترد عليهم وتقول لو كانوا يريدون الإيمان لآمنوا عندما جاءهم الرسول: أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ} {13}. ولم يتهموه بالجنون: {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ} {14}.

وتقول الآيات لو أننا كشفنا عنهم العذاب (يوم القيامة) وأعدناهم لعادوا للكفر: إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} {15} الدخان. وهو ما كررته سور أخرى بأسلوب آخر، ومن ذلك: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {27} بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} {28} الأنعام.

ثم تتحدث السورة عن فرعون وبني إسرائيل: وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ {17} أَنْ أَتُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {18} وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ {19} وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ {20} وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ {21} فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَا قَوْمَ مُجْرِمُونَ {22} فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ {23} وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ {24} كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {25} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {26} وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِينِ {27} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ {28} فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ {29} وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ {30} مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ {31} وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {32} وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ {33}.

والآيات: 17-29 تخاطب قريش بما حدث لفرعون نتيجة كفره، بينما بقية الآيات: 30-33 فتهم بني إسرائيل أكثر في حديثها عن نجاتهم من فرعون.

(الآية: 18) تؤكد أن فرعون لو سمح بخروج بني إسرائيل من مصر فرعون، لتترك شأنه ولم يعاقب في الدنيا على كفره.

(الآيتان: 22-23) دليل على أسلوب القرآن: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَا قَوْمَ مُجْرِمُونَ} {فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} {23}. الآية الأولى تقول أن موسى دعا ربه، والآية التي تلت تقول: فاسر بعبادي (المتكلم هو الله والمخاطب موسى). لكنها لا تقول أن الله أمر موسى بالخروج ليلاً، ومع ذلك نفهمها ببساطة. لكن لو حاولت أن أقلد هذا فسيأتي كلامي لا معنى له، مثلاً: فقال لي أحمد أنقذني، فاخرج واتجه لليمين. ولا يمكن لأحد أن يفهم أنني قلت له: يا أحمد أخرج واتجه لليمين.

وهذه الآيات ومثلها: وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ {24} كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {25}. تظهر أسلوباً آخر للقرآن. فالآيات أحياناً لا تسرد القصة كما نسردها، بل تصور القصة وكأنها لوحة موزاييك مكونة من قطع موزاييك متراسة. وتعطينا الآيات قطعة هنا وهناك بحيث يمكننا نحن أن نكمل بقية القطع بسهولة لتكتمل اللوحة.

فالآية 24 تقول أن موسى أمر بترك المسار الذي سار فيه ومن معه في البحر رهوًا (لا ماء فيه)، ثم تقول الآية 25 أنهم تركوا جنات وعيون. وما نفهمه بسهولة هو أن موسى خرج من البحر

ومن معه، وأن فرعون ومن معه لحقوا بهم وغرقوا وتركوا جنات وعيون. ولا نستطيع نحن أن نقلد هذا الأسلوب.

(الآية: 32) {وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ} فهل اختيارهم يعني تفضيلهم على الدوام وفي كل زمان؟ أم أن تفضيلهم على من حولهم في ذلك الزمن، وذلك لأن التوراة نزلت لهم، وهو ما تؤكد الآية التالية: {وَأَتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ} {33}.

وتقول السورة: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ {34} إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ {35} فَأَنُؤَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {36}.

فالحديث عن قريش وأنهم يجادلون الرسول، بالطلب منه أن يحيي أجيالهم السابقة ليثبت لهم أن هناك بعث.

ويلي ذلك القول لقريش أن تعتبر من أمم سبقتهم لأهلكوا لكفرهم مثل قوم تبع: أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ {37}.

ولو قريش ترغب بالإيمان لآمنت بمجرد التفكير بما حولها من خلق عظيم: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {39}.

(الآيات: 40-58) وعيد للمكذبين يوم الدين وتقديم صور حسية لما في النار زيادة في الترتيب، وفي المقابل وعد وترغيب للمسلم وصور حسية للجنة: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ {40} يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ {41} إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {42} إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ {43} طَعَامُ الْأَثِيمِ {44} كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ {45} كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ {46} خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ {47} ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ {48} ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ {49} إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ {50} إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ {51} فِي جَنَّاتٍ وَغُوبٍ {52} يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ {53} كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ {54} يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ {55} لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ {56} فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {57} فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {58}.

(الآية: 54) ذكر للهور.

(الآية: 56) تأكيد على أن البقاء يوم القيامة أبدي.

(الآية: 58) القرآن بلسان عربي، ودليل على أن الدعوة بالقرآن فقط.

وتختم السورة بمخاطبة محمد: فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ {59}. دعهم وسيلقون مصيرهم، ولا تعني
انتظر وسينتظرون.

ونكون قد وصلنا لختام يومنا.

وإلى لقاء الغد مع اليوم رقم 6 إن شاء الله.

والسلام عليكم